

أوال : الكشف الجغرافي تعتبر حركة الكشف الجغرافية التي بدأت في القرن الخامس عشر فاتحة للاستعمار الأوروبي سواء في أفريقيا أو في الأمريكيتين، ورغم أن نشاط المستكشفين البرتغاليين كان موجها في الأصل إلى البحث عن طريق موصل إلى الهند حيث منابع تجارة التوابل المنتزاعها من أيدي التجار المسلمين وتوصيلها إلى أفريقي عن غير طريق البالد الأسلمية الواقعة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط فإن أفريقيا كانت هذا الطريق الذي يبحث عنه المستكشفون البرتغاليون طالما أراد هؤلاء تجنب الصطدام بالمسلمين المسيطرين على طرق التجارة التقليدية من الهند إلى أوروبا. ويرجع إلى البرتغاليين الفضل في كشف السواحل الأفريقية المطلة على المحيطين الأطلسي إذ بدأت عملية الكشف البرتغالية بنزول الأمير (هنري المالح) بن ملك البرتغال (يوحنا إلى مدينة) سبته (المغربية عام 1415م، ومنذ ذلك التاريخ ومن هذا المركز الاستعماري البرتغالي الأول في الساحل الأفريقي استمرت حركة المستكشفين البرتغاليين للدوران حول أفريقيا التي انتهت بنجاح المالح البرتغالي (فاسكو دي جاما)، في الدوران حول الطرف الجنوبي للقارة الأفريقية الذي أطلق عليه أسم رأس الرجاء الصالح)2، في عام 1498م ثم واصل سيره في المحيط الهندي بمعونة مالح عربي هو (أحمد بن ماجد)، إلى أن وصل إلى ساحل الملبار في شبه القارة الهندية حيث بدأت أولى خطوات تأسيس إمبراطورية برتغالية في الشرق. استطاع البرتغاليون خلال القرن السادس عشر إنشاء عدة مستعمرات ومحطات عسكرية على السواحل الغربية والشرقية للقارة الأفريقية، مثل جزر (ماديرا) وجزر (آزور) والرأس الأخضر) وأنجوال (وغينيا) (وموزمبيق)، إلى جانب المراكز التي أنشأوها على الشاطئ الغربي لأفريقيا من وعلى الشاطئ الشرقي لأفريقيا في (كلوة) (ومباسا) (وسفال)، أقامت سياسية البرتغاليين بالنسبة لمستعمراتها ومراكزها في أفريقيا على أساس الاستغلال الكامل فحيث كانت الهند والشرق الأقصى أكثر جذبا اقتصر النشاط البرتغالي في أفريقيا على استخدام الشواطئ الأفريقية - حيث المحطات البرتغالية المسلحة - على تموين السفن البرتغالية والحصول على المواد الخام والرقيق، وعندما بدأت المنافسة الأوروبية للاستعمار قامت سياسية البرتغاليين على إقامة علاقات سياسية وتجارية مع الزعماء الأفارقة والتبشير بالمسيحية في فر الح فربقطع ر بء طو از يء اول ف حزل فرطق فرجذر رورة فآللقرال وركذه ووه بيءصووووووقل تووووووللنة قوب سقذه لأوق نوب هذف فرطق إس اا فريزفصف ويء سرض نءم 1486م. ال فرشا : القراء ل فريالقاء فرنورال ص واحتكار التجارة مع الأفارقة بدعوى أن البرتغال تملك أفريقيا بحكم سبق مكتشفها في النزول إلى بدأ البرتغاليون يفقدون معظم مستعمراتهم الأفريقية منذ نهاية القرن السادس عشر بنزول قوى أوروبية أخرى كالأسبان والهولنديين والفرنسيين والإنجليز والألمان إلى الأرض الأفريقية منذ حيث نزل الهولنديون في رأس الرجاء الصالح عام 1652م، الأسبان قد استولوا على بعض الأقطار العربية بشمال أفريقيا في النصف الأول من القرن السادس وانتهى الصراع بين البرتغاليين والقوى الأوروبية المتعددة في الشاطئ الغربي لأفريقيا في القرن التاسع عشر ببقاء) أنجوال (وغينيا)، وفي الساحل الشرقي لأفريقيا أخذ الصراع يشتد بين البرتغاليين من جهة وبين العرب والمسلمين والأفارقة من جهة أخرى ولم يأت عام 1700م حتى كانت القوة الأسلمية قد أبعدت كل أثر للتجارة والجنود البرتغاليين من قلب المدن التي سبق أن نزلوا بها)4، يعد البرتغال سوى مستعمرة واحدة بشرق أفريقيا (هي) موزمبيق). ومما تجب مالحظته أنه لم يكن هدف البرتغاليين من كشف السواحل الأفريقية إقامة مستعمرات بل إقامة محطات ومراكز عند مصبات الأنهار، اهتموا بحماية مراكزهم ومحطاتهم من اغارات الأفارقة، ناطق تصلح لرسو السفن ويمكن فيها إقامة الحصون والقلاع والمخازن أو المحطات البحرية التي تحتوي على مساكن الجنود البرتغاليين المكلفين بدراسية المحطات وشساكن للتجار البرتغاليين كما يجب مالحظة أن البرتغاليين فرضوا على الأفارقة احتكارا حرمهم من البيع والشراء ال معهم كما استخدم البرتغاليون محطاتهم ومستعمراتهم في أفريقيا مراكز لتصدير الرقيق الأفريقي سواء إلى مستعمرتهم الكبرى في العالم الحديد وأعني البرازيل أو إلى المستعمرات الأوروبية الأخرى في العالم الجديد أيضا حديث احتكرت البرتغال هذه التجارة لفترة طويلة قبل أن تدخل معها سفن الدول الأخرى في المنافسة، « عاصمة البرتغال مركزاً رئيسياً لهذه التجارة تستقبل السفن المحملة بالرقيق الأفريقي وتصدره إلى الأسواق الأوروبية وإلى أسواق العالم الجديد الذي صار مجالاً الاستعمار انجليزي أسباني ولنا أن نتساءل عن الأسباب التي جعلت البرتغال تسبق الدول الأوروبية في مجال الكشف الجغرافي زهقف حءض : فسسيء القراء ص ال فرشا : فرق ع فرسء بقد ص -1 سادت الروح الصليبية في البرتغال وأصبحت محركاً الأساسية البرتغالية خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مما أعطى البرتغال زعامة على العالم المسيحي في غرب -2 وقوع البرتغال وأسبانيا متاخمتين الإمارات إسلمية في الأندلس وفي شمال أفريقيا، الحرب مستمرة بين الإمارات المسيحية والإمارات إسلمية، المسيحية انضمام أمارتي أرجون وفشتالة الكاثوليكيتين في دولة واحدة. -3 وقوع البرتغال على شاطئ المحيط الأطلسي على مقربة من

القارة الأفريقية أعطاه أهمية استراتيجية وتجارية حيث كانت عاصمتها لشبونة مركزا للتجارة الأفريقية المستوردة إلى -4 استعانة البرتغال بالمحنيين من جنية نقلوا خبراتهم البحرية الى البرتغال. الذين استفادت منهم البرتغال في وضع المصورات والخطط النشاء امبراطورية برتغالية في الشرق تبدأ بأفريقيا. ويذكر بعض المؤرخين أن الأمير هنري السالم أول مالمح برتغالي نزل الى الأرض الأفريقية سمع عن مملكة مسيحية أفريقية كبرى تقع الى الجنوب من بالذ المسلمين، وأن هذه المملكة - الحبشة - تتفق مع البرتغاليين وشع غيرهم من صليبي أوروبا في العداء للمسلمين، المؤرخين أن مدعي الأمير هنري المالمح لنشر العقيدة المسيحية في كل رقعة من الأرض الأفريقية يصل اليها البرتغاليون كان يعني انشاء صالت وثيقة مع تلك المملكة المسيحية في الحبشة التي يتزعمها (القس يوحنا) الذي سيطرت شخصيته على العقول في ذلك الحين حتى يستعين به الأمير هنري في الصراع ضمن المغاربة المسلمين، وحتى يستطيع البرتغاليون إذا ما تم انشاء هذه الصالت الزحف عن طريق نهر السنغال والوصول الى الحبشة، ومنها الى البحر الأحمر ومياني بالذ العرب والهند والصين من غير أن يتعرضوا لأخطار الطرق التجارية التقليدية التي يسيطر عليها وقد استفاد البرتغاليون من الخبرة البحرية أثناء حركة الكشوف الجغرافية واكتسبوا الممران في الحرب ضد الأفارقة وأصبحت السفن البرتغالية الى جانب اتقانه المالمحة محاربا ممتازا خصوصا في القارة ممتازا وسط البحريات القوية في القارة الأوروبية، كما أصبح المالمح البرتغالي الى جانب اتقانه المالمحة محاربا ممتازا خصوصا في القارة الأفريقية المسلح بأبنائها بأسلحة بدائية أمام بارود وعندما حصل البرتغاليون من البابا (مارتن الخامس) على مرسوم باكتشاف الطريق الى الهند وشن الحرب ضد المسلمين عام 1454م زمن رحالت الأمير هنري المالمح، لجميع الشواطئ الأفريقية جنوب مراكش في الوقت الذي كانت فيه أسبانيا تنشط في مجال الكشف . ال فرشا : فرق ع فرسء بق د ص. زفهق حء ضد فرق ع فرسء بق د ص والاستعمار في العالم الجديد مما أدى إلى حدوث صراع بين الطرفين الممالك الشواطئ والجزر واستمر هذا الصراع حتى عقدت معاهدة «ترو د عام 1494م بين البرتغال وأسبانيا بمساعي البابا، نصت على امتلاك البرتغال جميع الأراضي الأفريقية التي Trodisellas، سيالس بمصالح أسبانيا في مراكش واستثمارها للعالم الجديد. وقد تمثل الكشف والاستعمار البرتغالي أفريقيا في استغلال الشاطئ الأفريقي كمحيطات للحصول على تموين السفن البرتغالية والحصول على المواد الخام والرقيق، بداخل القارة الأفريقية أكثر من الرغبة في انقاء عداء السكان. ويمكن أن نحدد مظاهر الكشف والاستعمار البرتغالي أفريقيا في النقاط التالية : أ - لم تكن أفريقيا تمثل هدفا عند البرتغاليين يصلون اليه ويحققونه، طريقها الى تحقيق هدفهم أسمى وهو احتكار تجارة الهند والسيطرة على البحار الهندية وانحصر الاهتمام البرتغالي بأفريقيا في تأمين طريق الوصول الى البحار الهندية باقامة حصون ومحطات على الشواطئ الأفريقية الغربية والشرقية. ب - لم يكن هدف البرتغاليين في البداية اقامة مستعمرات بل اقامة محطات مسلحة أو مراكز على ولذلك لم يهتموا كثيرا بالتوغل داخل القارة، المحطات التي أقاموها على السواحل من أغارات الأفارقة. ج - اختار البرتغاليون مناطق على الشواطئ الأفريقية تصلح لرسو السفن ويمكن فيها إقامة الحصون والقلاع والمخازن والمحطات البحرية التي تحتوي على مساكن للجنود البرتغاليين ومساكن للتجار البرتغاليين وخذ مهم من الأفارقة الذين يجبرون على اعتناق المسيحية الى جانب إنشاء كنيسة. د - اعتنق البرتغاليون فكرة أن تجارة الهند لن تخلص لهم وحدهم إال بالقضاء على التجار العرب ومن ثم فقد هاجموا ودمروا جميع المدن العربية والسالمية المزدهرة على الشاطئ الشرقي أفريقيا وأقاموا مكانها محطات خاصة بهم(8). وفي الحديث عن دور البرتغال في الدوران حول أفريقيا للوصول الى الهند تبرز قضية هامة تدور حول من أرشد فاسكو دي جاما الى الهند وقاد الحملة من «مالندى، بشرق أفريقيا الى (قاليقوط) بساحل الملبار بالهند . أهو المالمح العربي الشهير (أحمد بن ماجد)، أن اسمه الكامل شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن محمد بن عمرو بن فضل بن دويك من أصل عربي ومسقط رأسه مدينة (جلفار)، اشتهر بالمالمحة واكتسب خبرة كبيرة في ركوب البحر بين عمان والهند وشرق أفريقيا حتى ذاع صيته، حتى أطلق عليه لقب (أسد البحر) (9). . ال فرشا : فرق ع فرسء بق د ص82 - 9 (اح ن ب ء ن : ثالث ازده د ص وأما عالقة بالبرتغاليين فترجع الى انه عايش فترة محاولت البرتغاليين الدوران حول الطرف وعندما فشل (بارتلميو دياز)، في مواصلة السير باتجاه شرق أفريقيا بعد أن واجهته عواصف عند الصرف الجنوبي أفريقيا انتقده أحمد بن ماجد في قصيدة من الشعر العامي زلوا بها الفرنج علق الموسم في عيد ميكال بالتوهم قام عليهم موج تلك الروس في سفالة بقى معكوس وانقلبت أنفالههم في الماء والسفن فوق الماء ياخائي غرقا يسرون بعضهم لبعض وكن عارفا موندم تلك الأرض) 10 (وعندما وصل فأسكو دي جاما الى مدينة (مالندى) بشرق أفريقيا في 15 مارس ١٩٨م شغل نفسيا، وكان ملك مالندى يشعر بالود نحو الجانب فشار على فاسكو دي جاما بأخذ أحمد بن ماجد وقد رضى دى جاما كل الرضا عن ابن ماجي خاصة بعد التحدث معه وخصوصا بعد أن عرض ابن ماجد على دى جانا

خريطة لكل الشواطئ الهندية مرسومة بكل وضوح، كبيراً من الخشب كان شد. اين دره بدايه وكذلك اسطربالبات معدنية أخرى لقياس ارتفاع الشمس والنجوم لم يندھش ابن ماجد وقال أن المالحين العرب يستخدمون أجهزة مثلثية ومربعية الشكل لقياس ارتفاع الشمس وخصوصاً النجم القطبي، كما أنهم يستخدمون أجهزة أخرى غير الأسطربال وقد عرضها ابن ماجد مما جعل دي جاما يعتبر ابن ماجد ثروة كبيرة. وبالتالي ركب ابن ماجد سفينة القيادة في حملة دي جاما، وقاد الرحلة التي انحدرت من النادي في ووصلت الى كاليكوت)، على الضفة الغربية للهند في ٢٠ مايو من نفس العام أي بعد حوالي شهر، وأول مرة وبفضل أستاذية المالح العربي في فنه تنهد وان كان لهذا الحدث تأثير مضاد على الشرق، فشعوب المحيط الهندي قاست بعدها من وبالت على اليابسة، 10 (11) - 22 - ونتيجة الفعال البرتغاليين في شرق أفريقيا وفي الخليج العربي وفي الهند من أعمال تتصف بالبربرية كقتل الناس وتدمير المدن المزدهرة، فقد شعر أحمد بن ماجد بتأنيب الضمير على قيامه بقيادة سفن فاسكو دي جاما من شرق أفريقيا الى الهند، وسجل مشاعره الحزينة هذه في شعره العامي الذي يفيض بتصوير أعمال المستبدين البرتغاليين وتصوير عذاب الرجل - ابن ماجد - شعره : وجا لكا ليكوت خذ ذى الفائدة لعام تسعماية وست زائدة وسار فيها مبغض السلام والناس في خوف واهتمام وانقطع المكي عن أرض السامري وشد جردفون للمسافر وخبرني ما حملة الفرنجي من جانب السودان شط اللجي وهو الذي قد قهر المغاربة وأندلس في حكمه مناسبة) 12 (أفريقيا الى الهند، وال يمكن القاء اللوم على ابن ماجد لما قام به أو البرتغاليين فلم يكن يعلم أن هذه العربية أو شرق أفريقيا أو في الهند، كما ال يمكن لنا الموافقة على ما جاء في مخطوط (قطب الدين النهروالي) (كاتب القرن السادس عشر من أن كبير الفرنج)دي جاما(صاحب أحمد بن ماجد سكره. إذ ال يعقل أن يقوم مالح بارشاد ثانيا : تجارة الرقيق 48 - 23 - والاستعمار الأوروبي، الرقيق، من قبل الدول الأوروبية، أوروبا، هذا إلى جانب مواجهة هذا الساحل للأمريكتين التي صارت الميدان الفسيح الاستقبال للعداد الغفيرة من الرقيق التي كانت تشحن من أفريقيا ومن ساحلها الغربي على وجه الخصوص العمل في مناجم الأمريكتين ومزارعها) 14 (. وكانت البرتغال أسبق الدول الأوروبية أتجاراً في الرقيق، ومرجع ذلك الى كونها تزعمت منذ البداية حركة الكشوف الجغرافية والاستعمار، ومارست نشاطها في هذا المجال في ساحل أفريقيا الغربي، ذلك النظام مصبات أللنهار، وقد بدأ نشاط البرتغاليين في صيد الرقيق والتجار فيه منذ عام 1442م. وقد أصبحت التجارة في الرقيق في هذه الجهات مصدر ربح كبير حتى أصبح في المكان الاعتماد عليها كمصدر البرتغالي من البداية. وكان معظم جالبو الرقيق وموردوهم من الزعماء والتجار الأفارقة الذين كانوا يصطادون الرقيق رجالاً ونساءً وأطفالاً ويسوقونهم سوقاً عنيفاً مقيداً بالسلاسل ومربوطين بعمود من الخشب حيث يمشون في صفوف لبيعهم للبرتغاليين وغيرهم من الأوروبيين في محطاتهم التي تشمل على أسواق التجارة الرقيق وتجارة السلع الأخرى، ويسامون في الشراء، وهكذا) 15 (. عشر والثامن عشر والتاسع عشر، وكانت أول شحنة من الرقيق الأفريقي تصل الى الأمريكتين تلك كما كان قيام 1562م أول نشاط انجليزي في هذا المجال. وقد استطاعت، انجلترا عام 1662م أن يصبح لها مركزاً أو محطة تسيطر عليها في غرب أفريقيا وتقع عند مصب نهر (جامبيا). 14 (82 - 24 - الغربية وأمريكا الشمالية) 16 (، الواحدة ما يقرب من خمسين ألفاً من الرقيق، كما تأسست شركات بريطانية ومراكز وحصون على السواحل الأفريقية الحتكار تجارة الرقيق بلغت حوالي) 14 (مركزاً نقلت أو صدرت أكثر من نصف عدد الرقيق المصدر من غرب أفريقيا الى العالم الجديد) 17 (. أما هولندا فقد دخلت مجال المنافسة الاستعمار أفريقيا، وكان الربح الناتج من تجارة الرقيق عامل الأفريقية، وقد تكونت شركة جزر الهند الغربية الهولندية عام ١6٢١م لالتجار ونقل المتاجر ومنها الرقيق بين أفريقيا والأمريكتين، كما استولى الهولنديون على كل مواني ساحل الذهب وأنشأ وأمواني جديده لخدمة تجارة الرقيق، البرتغاليين والنجليز في أفريقيا. كما شاركت بقية الدول الأوروبية في تجارة الرقيق من أفريقيا، إذ استطاع الفرنسيون من (السنغال) في غرب أفريقيا وعن طريق ما عرف باسم (شركة السنغال) ومنذ عام ١6٣٣م أن يكون لهم دور في استعمار أفريقيا وفي تفريغ أفريقيا من أبنائها، كما شارك الألمان ورعايا كل من اندرويد والدانمرک في نشاط تجارة الرقيق الأفريقي. وعندما زاعت الدعوة إللغاء الرق استفادت انجلترا منها بتكوين مستعمرات انجليزية في أفريقيا كان أولها مستعمرة (سيراليون) التي كانت قد أنشأتها جمعية مكافحة الرق البريطانية منذ عام ١٧٨٧م ليعيش فيها الرقيق الذي تحرره الجمعية، وأصبحت (فريتاون)، الرق) 18 (. كما حصلت (جمعية الاستعمار الأمريكي) عام ١٨١٩م على قرار من الحكومة الأمريكية النواة لدولة (ليبيريا) الحالية. لم تكن عملية مكافحة الرق بالعملية السهلة التي يمكن تنفيذها دون بذل الكثير من الجهد على السواحل - 25 - Kirkwood K. W.) والوقت، دخل تجاري لكل متعامل فيها، الذين يتقنه، والقضاء على مقاومة 16 الأفريقية. عليه، وهو ربح وفير، لبيع الرقيق أي استخدامهم في مزارع ومناجم المستعمرات فيما وراء البحار وخاصة في العالم

الجديد. كما أن مكافحة الرق تعني أيضا الوقوف أمام أصحاب المزارع والمناجم من مستوطني العالم الجديد الذين أخذوا يستفيدون بالرقائق الأفريقي في استغلال مزارعهم الواسعة ومناجمهم المنتجة حتى تزايدت ثرواتهم وأصبحوا ال يستغنون عن الرقيق) 19 (. المعاملة التي يلقاها هؤلاء الرقيق في المستعمرات البريطانية وموقف الحكومة البريطانية من هذه القضية، لقد كانت الكنيسة أول من عارض الفظائع التي اقترنت بتجارة الرقيق، وندد رجال الدين بهدوء المعاملة التي يلقاها الرقيق في المستعمرات البريطانية وطالبوا بضرورة معاملتهم معاملة انسانية، ولقد ظل الكتاب البريطانيون والفرنسيون طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر يهاجمون هذه التجارة والمعاملة التي يلقاها الرقيق من التجار ومن حكام المستعمرات. فلم يكن يسمح لهم والمساواة التي يجرسها المبشرون في أذهان الرقيق، كما يندر الزواج بين الرقيق، وكانوا ممنوعين من الشهادة أمام المحاكم، تكن لهم رعاية صحية، الأسياد ورجالهم، ونتيجة لذلك كثرت الوفيات بين الرقيق نتيجة للمعاملة التي يلقونها والحالة السيئة التي عاشوا فيها) 20 (. ومع ذلك فقد كان هناك من البريطانيين من دافع عن تجارة الرقيق واعتبرها من أسباب عظمة المبراطورية البريطانية وأسطول بريطانيا في المياه الدولية، باعتبار أن الأرباح التي تدرها هذه التجارة تزيد من ثراء البريطانيين واشترك البحارة البريطانيون في السفن التي تنقل الرقيق يزيد من تدريبهم حتى تتزايد سيطرة الأسطول البريطاني على البحار الذي أصبح منذ نهاية القرن الثامن وقد استمر هذا الوضع حتى تنبعت بعض العقول في بريطانيا الى حقيقة المأساة التي يعيشها ومن ثم ظهرت الدعوة لمعاملة ثم تطورت هذه الدعوة الى 19 (. ال فرشا : فرق ع فرس بقدر ص 81 - 21 - 26 - التجارة فيه وتحرير الرقيق المملوك لأسياد، وان كانت استجابة الحكومة البريطانية لتلك الدعوة لم ولكن ألن انجلترا قدرت أنه سيكون لها دور كبير في عملية مكافحة الرق، وفرض سيطرتها على البحار بحجة التأكد من تنفيذ السفن السياسية المكافحة وعدم نقلها رقيقاً من أفريقيا. العنف لتثبيت أقدامها في أفريقيا والقضاء على كل مقاومة يستطيع الهالي أن يقوموا بها) 21 (. وبالتالي يعطيها المؤتمرون الحق في تفتيش السفن المارة في البحار القريبة من أفريقيا، وقد استطاعت انجلترا أن تستصدر من مؤتمر فينا الذي عقد عام 1815م لمناقشة نتائج الحروب النابليونية، قرارا يقضي بمكافحة الرق، كما أنها عقدت اتفاقيات بين بريطانيا ومعظم الدول الأوروبية تعطي لبريطانيا الحق في تفتيش سفن هذه الدول. وقد سعت الدول الأوروبية الواحدة تلو الأخرى لكي تستصدر قرارات من هيئاتها التشريعية والتنفيذية الوطنية بمكافحة الرق، فوجد المبراطور نابليون الأول يصدر قرارا أثناء حكم المائة يوم كما أن البرتغال عقدت مع انجلترا اتفاقا حدد عام كما عملت كل من هولندا وبالنسبة 1808م، ونتيجة لهذه القرارات ارتفعت قيمة الرقيق في الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارهم من الممتلكات إذ لم يعد في المكان استيرادهم) 22 (. ونتيجة لسياسية المكافحة في الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الذي تعتمد فيه الزراعة بزعمارة الرئيس) أبراهام لنكولن (، ورغم أن الجميع كان في مجال الخدمات، ومن ثم دارت الحرب الأهلية بين الولايات الجنوبية والحكومة الفيدرالية والتي استمرت من عام 1861م، وجاء انتصار الحكومة الفيدرالية في هذه الحرب في 21 (ص 22) 44 ولكن رغم صدور قرارات رسمية من الدول التي تاجرت وامتلكت رقيقاً بمكافحة الرق وبفرض العقوبات على كل من يخالف المكافحة، فقد اشتهرت هذه التجارة بوسائل غير رسمية وبطرق فردية، وكل ذلك يقلل من فعالية الجهود المبذولة في عملية المكافحة. وان كنا يجب أن نلاحظ عودة جماعات من الأفارقة من المهجر الى الأرض الأفريقية سواء من أوروبا أو من الولايات المتحدة حيث أقيمت مستعمرات سيراليون وليبيريا، كما وفدت من البرازيل مجموعات أخرى من الرقيق وكان الكثيرون منهم عمالاً حرفيين مدربين) 23 (. تميز القرن التاسع عشر بوضوح الظاهرة الاستعمارية الأوروبية، وكانت أفريقيا مجالاً من أخصب المجالات التي تأثرت بالزحف أو التسابق الاستعماري بين الدول الأوروبية خال هذا القرن والقرن العشرين أيضاً. ولقد اكتفى الجغرافيون بملء الفراغ الأبيض على خرائط القارة الأفريقية بصور المتوحشين، وبوضع ألقاب على الكتبان الرملية بدلاً من المدن. كما أنه حتى عام 1815م لم تكن المستعمرات إذ كانت البرتغال تحتفظ بجزر) ماديرا (و) أزورا (- أو ألزورس - و) جزر الرأس الأخضر (و) جزر سان توماس (و) جزر انبرنس (، وإقليم) غينيا (وإقليم) أنجوال (وكل هذه الأراضي في غرب أفريقيا، الى جانب (موزمبيق) في شرق القارة أم أسبانيا فكانت تحتفظ بعض المنشآت على ساحل الذهب، وكانت فرنسا تمتلك منطقة السنغال وجزيرة الاتحاد وتطالب بحقوق في جزيرة) مدغشقر (، وصدمت انجلترا إليها.) سيراليون (الى جانب احتفاظها بمركز قوي هيالنة (و) السكاب (و) موريس (و) سيشل () 24 (. ويرجع اقتصار الاستعمار الأوروبي في أفريقيا في بداية القرن التاسع عشر على هذه المناطق. ومعظمها من الجزر - الأفريقية القليلة الى عوامل ترجع الى الظروف الأوروبية كما ترجع الى الظروف الأفريقية، ففي أوروبا أنشغلت الدول الأوروبية بحروب المبراطور نابليون الأول عن التفكير في انشاء مستعمرات داخل أفريقيا. وبالنسبة للظروف الأفريقية فقد كان الجهل بأحوال ومن هنا بدأت

عمليات أو رحالت الكشف داخل أفريقيا قام بها مستكشفون ينتمون لمعظم الدول الأوروبية. وقد استفاد استغرقت حوالي قرن من الزمان من عام ١٧٧٠م إلى عام ١٨٧٥م حيث تم في هذا العام الأخير رزح : القحراء ل ن ق فريزل فال ي عن د ص 52. (846 - 28 - كشف جميع أحواض أنهار أفريقيا، القارة)25). كانت أولى رحالت المكتشفين بين عامي ١٧6٩م، جيمس بروس والتي زار خالها الحبشة واكتشف بحيرة « تانا، حيث ينبع النيل الأزرق أحد روافد نهر النيل، سواحلها الغربية Bruce James والشرقية، والشمالية مستخدمين مجاري النهار والدروب الصحراوية وبمساعدة شركات تجارية أوروبية مما يؤكد أن الدول الأوروبية الاستعمارية والشركات التجارية الأوروبية والكنيسة المسيحية كانت وراء المستكشفين. وتعريف العالم بمصادر خيراتها ونشر الديانة المسيحية بين الأفارقة، كانت القوى الاستعمارية في أوروبا هي المستفيد الأول من هذه المعرفة، وإن كنا يجب أن نشير إلى ما قاساه المكتشفون من الأمراض والتعب بل وفقد الحياة. أنطلقت الدول الأوروبية الاستعمار أفريقيا تحت ستار البعثات التبشيرية أو الشركات التجارية وراء ومن ثم حدثت منافسة بين الأوروبيين حول الأرض الأفريقية من أجل الفوز بمناطق نفوذ أو سيطرة أو الممتلكات لأرض وما عليها من مواد خام، وجاء افتتاح قناة السويس للمالحة البحرية العالمية عام 1869م ليزيد المنافسة الدولية حول أفريقيا. تلك المنافسة التي كادت تؤدي والاستعمار في أفريقيا دون الحاجة إلى الصدام المسلح. وبالفعل انعقد ما عرف بمؤتمر برلين من نوفمبر 1884م وأصدر قراراته في فبراير 1885م. وجاءت قرارات مؤتمر برلين لتعطي ضوءاً أخضر للدول الأوروبية لكي تنطلق في سباق الحتال ذلك أنه على الرغم من أن المؤتمر انعقد أساساً لبحث موضوع الدعايات البلجيكية في حوض نهر الكونغو في مواجهة الدعايات الفرنسية شمال النهر والدعايات البرتغالية جنوب النهر، كلها كان أكثر اتساعاً. وكان أقصى ما سعى إليه هو محاولة وضع مبدأ يمكن على أساسه دراسة الدعايات الاستعمارية والاعتراف بها)26). التبشيرية الأوروبية في تمدين الأفارقة. الكونغو الذي صار الاعتراف بوقوعه تحت السيطرة البلجيكية. فإن أخطر قرارات المؤتمر كان ذلك القرار الذي يدعو الدول الأوروبية الراغبة في 84 26) ص ز هـ عطش : طء ح القحراء ص. - 29 - وأن أية قوة أوروبية ترغب في امتلاك أرض أفريقية أن تفرض حمايتها على أراض أفريقية يجب عليها أن تدعم رغبتها هذه باحتلال فعلي أو حماية واقعة، وممارسة سلطتها حتى تتأكد مطالبها، شريطة أن تسمح في ممتلكاتها بحرية المرور والتجارة)27). وجاء هذا القرار تحت عنوان : اعلان حول الشروط الأساسية الواجب استيفاؤها حتى يعتبر احتلال وجاء نصه : على أية دولة تكون لها ممتلكات على الساحل الأفريقي وتريد الاستيلاء على قطعة أخرى على الساحل خارج نطاق ممتلكاتها حينذاك أن تقرن احتلالها هذا باخطار الدول الموقعة على الوثيقة العامة - الوثيقة التي تحوي قرارات مؤتمر برلين - بذلك حتى يتسنى لهذه الدول إبداء رأيها فيما يتعلق بما قد يكون ألي من هذه الدول من ممتلكات على الساحل لكنها ترغب في احتلال أجزاء منه. بوجود سلطة كافية بالنسبة للأراضي التي تحتلها هذه الدول على الساحل الأفريقي، وذلك لكي تحترم هذه الحقوق المكتسبة، وضماناً لحرية التجارة والمرور إذا اقتضى الأمر طبقاً للشروط (أندود عليها)28). وكان هذا القرار أخطر قرارات المؤتمر بالنسبة لقسام أفريقيا ودعوة للتسابق من أجل وضع اليد على أرض أفريقية، بلجيكا وكالعالن عن حرية المالحة والتجارة في أحواض نهر الكونغو والنيجر Scramble ومخارجهما والأراضي المحيطة بهما، وهذه القرارات الصالح لقوى الاستعمارية بط، يعة الحال، الأفارقة بأية حال من الأحوال، ويمكن القول أنه للمرة الأولى تحددت أخيراً قواعد الاستعمار الجديد التي أهمها أن من حق دولة مستقرة على الشاطئ الأفريقي - سواء كانت لها مستعمرة أو محطات أو مراكز مسلحة - أن وأن أي احتلال للأرض ال يصير نافذاً إل إذا كان مبلغاً إلى الدول موقعة على الاتفاق، وهكذا توطدت نظرية مناطق النفوذ التي سمحت باقتسام أفريقيا. وجاءت هذه القواعد الاستعمارية بمثابة دعوة صريحة لكل الدول الأوروبية لكي تسارع إلى اقتسام ومن ثم فقد شهدت القارة الأفريقية حتى الحرب العالمية الأولى عام 27) Coupand.